لاميرمور .. دونيزبتي لوتشيادي

Donizetti LUCIA DI LAMIMERMOOR

"لوتشيا دي لاميرمور" مأساة غنائية مقتبسة من وراية كتبها الروائي الأسكتلندي "سير وولتر سكوت" Sir Walter Scott اسمها "عروس لاميرمور" The Bride of Lammerinoor وهي تتناول المصير المفجع لحبيبين شابين تنازعت عائلتيهما الأحقاد. وقد نظم كلمات الأوبرا "كامارانو" Cammarano، ووضع ألحانها الموسيقى الايطالي "دونيزيتي" Donizetti، وقدمت لأول مرة على مسرح "سان كارلو" San Carlo بنابولي في سبتمبر عام ١٨٣٥، ثم في لندن عام ١٨٣٨.

شخصيات الأوبرا:

نورمان: قائد الحرس	Norman
لورد هنري أشتون	Lord Henry Ashton
رايموند: معلم لوتشيا	Raymond
لوتشيا: شقيقة لورد هنري	Lucia
أليس: صديقة لوتشيا	Alice

أدجار رافنسوود: عشيق لوتشيا Ravenswood

لورد آرثر بكلو: من نبلاء أسكتلندا Lord Bucklaw

زمن الأوبرا: حوالي عام ١٧٠٠

المكان: أسكتلندا

الفصل الأول

المنظر- الأراضي المجاورة لقصر "رافنسوود"

مضت عدة سنين ولورد هنري أشتون يمقت عائلة "رافنسوود" ويناصب أفرادها العداء، فقد سلبهم السلطة واستولى على حصنهم القديم، ومع ذلك لا يريد أن يقف ببطشه عند حد. فمادام أحد أفراد عائلة رافنسوود باقيا – وهو إدجار رافنسوود– فإن نفسه لن تعرف السلم، ولن تنفذ إلى قلبه الرحمة.

وثمة مشكلة أخرى تحير فكر لورد هنري، وهي أن أحد أعدائه على وشك اعتلاء عرش أسكتلندا. ومعنى هذا أنه مهدد بالنفي من البلاد ما لم يوفق إلى تزويج شقيقته "لوتشيا" من رجل له نفوذ في البلاط الملكي!

ولورد هنري الآن يجول في أراضي رافنسوود، يطرح هذه الأفكار التي تتماوج في ذهنه على "نورمان" قائد حرسه الذي أودع فيه كل ثقته.

ويصرح لورد هنري للقائد قائلا:

لورد هنري: يجب أن نرغم لوتشيا على الزواج!

ويوافق نورمان، غير أن "رايموند" – معلم لوتشيا – يحتج قائلا:

رايموند: أنها مازالت حزينة على فقد أمها. فكيف يمكن أن تفكر في الحب أو الزواج في مثل هذا الوقت؟

ويطلق نورمان ضحكة ساخرة ثم يسأل في دهشة:

نورمان: في الحب؟!.. إنها تحب فعلا إدجار رافنسوود! وهما يتقابلان هنا سرا كل يوم!

ويعضد رواية نورمان جماعة من صيادي الوحوش وقع نظرهم على إدجار راكبا نحو أبواب القصر، وهنا يعصف الغضب بلورد هنري فيقسم ليقتلن إدجار العشيق!

ويحاول رايموند أن يهدئ من ثورته ولكن في غير طائل.

وينصرف اللورد الحانق ومعه قائده نورمان بعد أن عقد العزم على الانتقام. ثم يمضي في أثرهما رايموند.

ولا تكاد الأرض تخلو من لورد هنري وأتباعه حتى تظهر لوتشيا ومعها صديقتها أليس. لقد جاءت تنتظر حبيبها إدجار عند نافورة رافنسوود!

وتحذر أليس صديقتها قائلة:

أليس: كان يجب ألا تحضري إلى هنا. فعليك أن تفكري في غضب أخيك لورد هنري!

وتجيب لوتشيا بقولها:

لوتشيا: يجب أن أنبه إدجار إلى ما يحيق به، فإن كلينا في خطر!

ثم تحدث أليس عن شبح رأته بجوار النافورة، شبح فتاة لقيت حتفها قاتلا! وإذ تنصت أليس إلى قصة لوتشيا يتملكها الخوف ثم تصيح:

أليس: إنني خائفة عليك يا لوتشيا! عودي أدراجك إلى القصر!

وتجيب لوتشيا في عناد:

لوتشيا: كلا! إن نظرة واحدة من إدجار كفيلة أن تبدد كل هذه الهواجس!

وتنصرف أليس وقد استبد بها القلق.

وحالما يصل إدجار ليعلن لحبيبته لوتشيا في أسف:

– يجب أن أغادر أسكتلندا الليلة يا لوتشيا. فإن الواجب يحتم على أن أذهب في مهمة إلى فرنسا. ألا يمكن لنا أن نتزوج قبل الرحيل؟..

وتجيب لوتشيا وهي تتنهد:

– كلا!.. فأنت تعلم مدى كراهية أخي لآل رافنسوود!

إدجار: إذن خذي هذا الخاتم، واعطني في مقابل هذا عهدا. فسوف يجيء اليوم الذي تنتهي فيه هذه الأحقاد وأعود لأطلبك للزواج!

ويتعانق الحبيبان عناق الوداع، ثم يمضي إدجار وهو يقول:

– تذكري انك أعطيت عهدا!

الفصل الثاني

المنظر الأول - جناح في القصر

اطمأن لورد هنري إلى صفاء الجو السياسي الذي كان ملبدا بغيوم الخطر. فقد نجح في إعداد العدة لكي تتزوج شقيقته لوتشيا من أحد نبلاء الدولة البارزين وهو "لورد آرثر بكلو" الذي قرب الآن موعد وصوله لتتم مراسيم الزواج.

ويصرح لورد هنري إلى القائد نورمان قائلا:

لورد هنري: ومع ذلك فإن القلق يساورني. فماذا إذا رفضت لوتشيا هذا الزواج؟ أنها لا تزال تفكر في إدجار!

ويجيب نورمان:

– لا تخف فقد أخفينا جميع الخطابات التي أرسلها إدجار من فرنسا، ومن ثم فإن شقيقتك سوف تظن فيه عدم الإخلاص!

وإذ يغادر نورمان الغرفة لاستقبال لورد آرثر، تدخل لوتشيا وقد ارتسم على وجهها الشحوب والأسى. وتسأل الفتاة أخاها في ضيق وانفعال:

– لم تصر على موقفك هذا؟ إنك تعلم إني أعطيت عهدا لإدجار!

وكأن لورد هنري كان ينتظر من شقيقته هذا القول، فما أن تفرغ من جملتها حتى يظهر لها خطابا مزيفا فحواه أن إدجار قد اختار لنفسه زوجة أجنبية!

وبعد برهة من الصمت الحائر يسال لورد هنري شقيقته، والآن... هل تتزوجين لورد آرثر؟

وتخور الفتاة أمام هذا السؤال، وبخاصة بعد أن ينصحها معلمها رايموند بأن تستسلم لرغبة أخيها، فتتأهب بقلب مثقل حزين للزواج من لورد آرثر.

المنظر الثاني - قاعة في القصر

يصل لورد آرثر إلى "لاميرمور" حيث تصدح الموسيقى وتعد العدة للزواج. غير أنه يحار في تفسير التصرفات الغريبة التي تصدر عن عروسه لوتشيا. فهي تبكي بدون انقطاع، ولا تتحدث إليه إلا لماما.

ولا تكاد لوتشيا تمضي عقد الزواج حتى يسمع باب القصر هرج ومرج.

لقد عاد إدجار من فرنسا ليطالب بحبيبته لوتشيا زوجة له! وما أن يعلم بأنها تزوجت من غيره حتى يصب عليها جام غضبه ويؤنبها في احتقار صارخ وهو يخلع خاتمه من إصبعه ويلقيه في وجهها:

– إليك خاتمك! فأنت خائنة للعهد!

ويستل لورد هنري سيفه، ويتقدم المدعوون من إدجار غاضبين متوعدين. غير أن رايموند لا يلبث أن يتدخل في الأمر بحكمته حقنا للدماء. ويغادر إدجار القصر مسرعا بعد أن يحدد مع لورد آرثر موعدا للمبارزة، في حين تهوى لوتشيا على الأرض وقد خارت قواها.

الفصل الثالث

المنظر الأول - قاعة في قصر لورد هنري

تموج قاعة "لاميرمور" بالمحتفلين بزواج لوتشيا من لورد آرثر. وفجأة يظهر رايموند وفي جعبته أنباء سيئة: فقد قتلت لوتشيا زوجها لورد آرثر بعد أن غمرها الحزن ولم تعد تقوى على احتماله! وحال تدخل لوتشيا القاعة وهي تلهث كالمجنونة والجزع يكاد يقفز من عينيها، ثم تقول بكلمات مذبوحة مرتعشة وكأنها تناجي حبيبها الغائب:

– إدجار!.. إدجار! آن لنا أن نتزوج! ألا ترى الشموع المضاءة وجموع المدعوين.. إن الكاهن مستعد، وها أنذا لك في النهاية!..

ثم ترتمي بين أحضان صديقتها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

المنظر الثاني – مقبرة

يتجول إدجار بين قبور أسلافه آل رافنسوود ينتظر غريمه لورد آرثر، ويفكر في زواج لوتشيا دون أن يعلم المصير المفجع الذي انتهت إليه.

وإذ يرمي ببصره إلى الأنوار المنبعثة من القصر البعيد، يخيل إليه والمرارة تكاد تقطع نفسه، أن لوتشيا بين ذراعي زوجها. وأخيرا يتمتم في يأس:

– سوف أموت من غير صديق يبكيني. فإن القبر ينتظرني!

وفجأة تقع عينيه على بعض أشخاص مرتدين ملابس الحداد قادمين من جهة لاميرمور. وإذ يقتربون من المقبرة يسأل أحدهم:

– لم تنتحبون؟

– إنها لوتشيا!. لقد أفقدها الحزن صوابها!

وتبرق في ذهن إدجار فكرة الاندفاع إلى القصر ليرى حبيبته مرة أخيرة عسى أن يصلح ما أفسده عليه الماضي. غير أن رايموند يقترب منه ويحول بينه وبين تحقيق ما يريد:

– لقد سبق السيف العذل، فقد ماتت لوتشيا!

ويصيح إدجار منتحبا:

– إذن لم يعد لي شيء على الأرض. فبغير لوتشيا لا يمكن أن أعيش!

وقبل أن تمتد إليه أيدي رايموند والأتباع لتمنعه، يكون إدجار قد أغمد خنجره في صدره وخر صريعا بين القبور..

ستار